



المعالج في حضارة بلاد الرافدين

The healer in Mesopotamia civilization

ليلى بومريش¹Leilaboumriche@yahoo.fr، جامعة الجزائر²

تاريخ القبول: 23 جوان 2020

تاريخ الاستلام: 09 مارس 2020

Abstract:

Medicine, which is a noble profession, dates to aback to the ancient times. As for Mesopotamian medicine, illness had been regarded as a retribution and judgment from the gods for the man's sins. Many medical practices have revealed the fact that it had been a relation between magic and empirical science.

Early mesopotamian practitioners were among the priests, but later the so called healers emerged the profession. There were two kinds of healers: asu (physicians) and ašhipu (exorcist). Regarding their roles, they were distinct, but tended directly to the sick. However, both of them had a central place in mesopotamian society.

Keywords:

Mesopotamia; asû ;ashipu; medicine; magic.

المؤلف المرسل: ليلى بومريش.

Leilaboumriche@yahoo.fr البريد الالكتروني

ملخص:

تعد مهنة الطب من المهن النبيلة التي مارسها الإنسان منذ القدم، ظهرت بظهور المرض، حيث اعتقد الإنسان الرافديني أن المرض هو تعبير عن مشيئة الآلهة، نتيجة خطيئة ارتكبتها الإنسان، وعليه نجد الكثير من الممارسات الطبية هي خليط بين العلم التجريبي والسحر، وقد قام الكاهن بامتحان هذا المجال، وظهر المعالج المسؤول عن عملية التداوي، وبغض النظر عن الطريقة التي انتهجها سواء كان "أسو" أي طبيب، أو "أشييو" أي طارد الأرواح الشريرة، عليهما البحث والتقصي عن سبل شفاء المريض، فسارا معا في علاج العديد من الحالات المرضية، وكانا لهما مكانة مرموقة في المجتمع الرافديني.

الكلمات الدالة: بلاد الرافدين، أسو، أشييو، الطب، السحر.



1. مقدمة:

الطب هذا المجال الواسع والمتشعب بتخصصاته كان الهدف الذي سعى الإنسان إلى تطويره منذ القدم، فكان عليه المحاولة من أجل التخلص في وصفاته من الممارسات السحرية، فاعتمد في وصفه للدواء على مستحضرات معينة، غير أن ذلك لم يمنع وجود إلى جانب هذه الوصفات نصوص لتعاويد ورقى، هذا ما صعب على المختصين في دراسة تاريخ الطب الراقديني الفصل بين الآسو والأشيبو والبارو، وهذا ما أثار السؤال حول ماهية اختصاصات الأشيبو والبارو، وكيف تعاملوا وتفاعلا مع الآسو؟ خاصة وأن النصوص الطبية منها الأشورية فيها الكثير من الخلط في الوصفات العلاجية هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن هذه الوصفات اعتمدت على مستحضرات نباتية؟.

ومن أجل طرح هذا الموضوع اعتمدنا مصطلح "المعالج" للتعبير في نفس الوقت على الآسو والأشيبو والبارو، كون المعالج هو الشخص المسؤول عن عملية العلاج، وسنحاول إلقاء نظرة عن هذه المهنة من خلال التعريف بهم، تدريبهم، كيفية علاج المرضى وغيرها من المهام.

2. نظرة عامة عن الطب الرافديني

يعد الطب من العلوم التي عرفت تطوراً ملحوظاً في حضارة بلاد الرافدين، شهدت عليه مختلف النصوص الطبية والمراسلات الدولية في العالم القديم، التي وجدت على ألواح مسمارية تم العثور عليها في العديد من المواقع الأثرية، كما مثلت آشور ومكتبة أشوربانيبال في نينوى المصادر الأساسية التي زودتنا بالكثير من هذه الممارسات الطبية، وتعود هذه النصوص إلى عصر سلالة أور الثالثة والفترة البابلية، وكذا العصر الآشوري الحديث¹.

يرى بعض الباحثين أن الطب نشأ في بداياته من التقاليد والممارسات الشعبية لما يسمى عادة بالعقاقير العشبية، إذ وفرت النباتات والمعادن والحيوانات ومنتجاتها المكونات الأساسية لتحضير تلك الأدوية التي اعتمدت على أسس "عقلانية" و"علمية"، وقد تم "خلطها" في وقت لاحق باعتماد الممارسات السحرية²، إلا أن دواعي وطريقة استعمالها لم تدرج قبالة المستحضر، هذا ما صعب على المختصين معرفة أصول الطب الرافديني³.

وقد عُرف مجال الطب من قبل المختصين بـ "علم ممارسة التشخيص والعلاج والوقاية من المرض"، ومهما كانت أساليبه مختلفة⁴، فهو العلم الذي يحافظ على الصحة الجيدة، في عالم كان فيه الاعتقاد القوي بأن الآلهة هي المسؤولة عن ما يصيب الإنسان من خير أو سوء، لذلك ربط الإنسان الرافديني أصل المرض بـ "القرار الإلهي"، حيث اعتبر المرض هو العقاب الذي يصيب الإنسان جراء خطيئة ما يقوم بها، فتسلط عليه الآلهة العقاب أي "المرض"، وبهذا يكون المرض غالباً باسم "يد الإله"، مشيراً إلى أن "الإله" قد لمس " (أو أصاب) المريض، أي أن الإله نفسه عبر أو أظهر غضبه بطرق مختلفة⁵، حيث تذكر نصوصهم المناجية للشفاء ذلك: "لقد أصابني الدنس، احكم في قضيتي، واصدر قرارك في مسألتي، انتزع المرض البغيض من جسدي، بدد كل ألم في لحمي وعضلاتي، انزع الشر من جسدي، ومن لحمي وعضلاتي دعه يذهب اليوم حتى أرى النور"⁶.



وبغض النظر عن المتسبب في المرض، فإن على المريض العلاج، عن طريق: التشخيص (Diagnostic) والتشخيص التكميني (Pronostic)⁷، والذي يؤديه المعالج سواءً كان طبيباً أو معزماً أو عرافاً، لأن كل هؤلاء يتفوقون حول ماهية وظيفتهم وهي "العلاج" بغض النظر عن طريقة أو كيفية العلاج، وعليه يمكن القول أنالطب في بلاد الرافدين انقسم إلى قسمين الطب الكهنوتي المعتمد على السحر وقراءة الطوالع واستشارة الفأل، والطب التجريبي الذي اعتمد على الحقائق العلمية.

3. إلهة الطب كولا "Gula":

عبد الرافديون العديد من الآلهة التي تخص الطب⁸، منها الإلهة كولا ابنة الإله "أنو"، هي إلهة الطب وحامية الأطباء، إلهة مدينة أيسن، مركز تدريب الأطباء، نسبت إليها عدة أسماء: ميعي، نينيسينا (سيدة أيسن) ننكاراك، ولديها العديد من الصفات مثل Azugallatu (بمعنى الطبيب العظيم)⁹، يعود تاريخها إلى حوالي 2000 ق.م، إذ تظهر تماثيلها الطينية على جدران معبد كولا خلال العصر الكاشي، وربما كان الناس يزورون هذا المعبد عند مرضهم ومن غير المعروف ما إذا كانت زيارة هذا المعبد مكتملة للدواء الموصوف من الأعشاب¹⁰.

تم تصوير كولا غالباً بالفضن أو على أختام أسطوانية خلال الفترة البابلية الحديثة، جالسة بثوب مكشكش مرتدية تاجاً، ويجلس عادة بجانبها كليها المقدس، وكولا حسب معتقداتهم تُحي الموتى بلمسة يدها: "أه إلهة الشفاء كولا، قادرة على إعادة الحياة للموتى، بلمسة يدها"¹¹، وهي ربة السموم والعقاقير¹².

4. المعالج:

لقد أنكر هيرودوت وجود المعالج في بلاد الرافدين في قوله: "الشخص الأكثر حكمة هو الذي ينظر إلى المرضى، نظرًا لعدم وجود أطباء، ينقلون المرضى إلى الأماكن العامة، وكل شخص يقترب منه، سواء كان قد أصيب بنفس المرض، أو إذا رأى شخصًا مصابًا به، فإنه يستطيع مساعدة المريض بنصيحته، ويحثه على فعل ما فعله بنفسه، أو ما رآه الآخرون يمارسونه للابتعاد عن هذا المرض، غير مسموح به أن يمر بذلك المريض دون أن يسأله ما هو شره"¹³.

هذه المقولة التي أكدت عدم صحتها من خلال ما توفر من معلومات أثرية تثبت ليس فقط وجود أطباء، بل حتى أطباء مختصين يقومون بوصف وتحضير الدواء للمرضى¹⁴، وأقدم الجذور المبكرة لهذه المهنة "الطب" تعود إلى ما قبل سنة 3000 ق.م¹⁵، وذكّر بأن الممارسة الطبية كانت في البداية علمية وأن جانب السحر جاء في وقت لاحق، حيث اهتم الأطباء بشكل أساسي بتشخيص المرض ثم توفير العلاج له بالأعشاب، بينما اقتصر عمل السحرة أكثر على القيام بالطقوس، والتي كان بعضها متعلقًا بالإلهة كولا إلهة الشفاء¹⁶، لذلك كان المختص بالسحر الأشيبيو (ašhipu) والطبيب الآسو (asû) على ارتباط وثيق مع بعضهما وكان عمل كل منهما يكمل عمل الآخر¹⁷.



1.4 دراسة وتدريب المعالج:

بطبيعة الحال قبل أن يتمكن الشخص من الوصول إلى مكانة المعالج، عليه أن يجتاز مراحل عدة، منها أن يكون قد أتقن القراءة والكتابة جيدا واكتسب بعض المعارف خلال مشواره الدراسي، ليلتحق ويتدرب على مهنة ممارسة الطب¹⁸، التي كانت تتم دراستها في المعابد، فهناك إشارات لطبيب "أسوأ أكاشكو" كان تحت التدريب، وكانت حرفة الطب في الغالب سرية لا يمكن الإفصاح عنها، حيث ذكرت النصوص الطبية في نهايتها عبارة "ليعلم الشخص المتعلم غير المتعلم والذي لا يعرف لا يستطيع قراءتها، والذي لا يحفظ السرعة أن لا يبقى صحيح البدن وأن تقصر أيامه"، وقد كتب الأطباء وصفاتهم بالسومرية وجعلوا تعليم الطب بصورة شفوية¹⁹.

كانت أشهر مدارس الطب تقع فيبوريشيا والوركاء وأيسن²⁰، هذه المدينة المشهورة بتقدم الطب وبمهارة أطبائها، بحيث أن مجيء أي طبيب من أيسن يعد ميزة عظيمة له²¹، إذ كان يعتقد أن الأطباء الذين تم تدريبهم في تلك المدينة مدربين بشكل منهجي، ويتمتعون بمصداقية ودراية كبيرة²²، حيث يقوم الطبيب "أسو" بالتدرب في تلك المعابد الخاصة بالإلهة "كولا"، ويعتمد في تعليمه على مزيج من الكتب المدرسية من الألواح الطينية، لاكتساب الخبرة العملية²³، كما اعتمد "الأسو" على أعراض وعلامات المرض، بينما ركز المعزم "الأشيبو" والعراف "البارو" على الأدعية والتراتيل والرقى والتعاويد²⁴.

غير أنه لا يوجد معلومات محددة في النصوص حول مسألة تدريب الأشيبو، نظرًا لأنهم اضطروا إلى الاستعانة بعدد كبير من المصادر المكتوبة، فمن المحتمل أن يكون تدريبهم قد شمل بضع سنوات في مدارس الكتابة حتى يتمكنوا من قراءة النصوص بأنفسهم، حسب الحاجة أو عمل نسخ لاستخدام الزملاء،

ويبدو على أي حال، أن ممارسين معينين قد كتبوا نصوصًا شائعة الاستخدام للذاكرة وأنه ما عدا في البلاط الملكي وفي المراكز الحضارية، قد لا يكون كثير من التعويذين بحاجة إلى معرفة كيفية القراءة أو الكتابة²⁵، ربما يعتمدون على التلقين الشفهي.

وكان المعالج منذ الألف الثالث قبل الميلاد ملزمًا على أداء القسم للقيام بمهنته بصدق وأمانة²⁶، ولم يكن تأديته فقط مخصصة للمعالج، بل كان يطبق على كل العاملين في الدولة ولدى الملك، وهذا ما نستشفه من خطاب كاهن وجهه إلى الملك أشور بانيبال: "إلى الملك، سيدي، عبدك، عشتار شوم إريش-Ishtar shum-eresh، تحية للملك، سيدي! ليبارك الإله نابو ومردوخ سيدي الملك! سيخضع الكتبة، العرافون، الأطباء، ...، موظفو القصر الذين يقطنون في المدينة للقسم في شهر نيسان، في اليوم السادس عشر، إذن، غدا يجب عليهم القسم"، لأنه يمثل التحالف بين الملك وعائلته وخدمه، ويتم ذلك بانتظام، وفقًا تقويم سنوي، يرافقه إيماءات طقسية، مثل رفع العينين إلى السماء، عقد شعار إلهي، أو يقوم بامتصاص مادة مثل (الأعشاب، الخبز، البيرة، النبيذ)²⁷.



2.4 أصنافهم:

حدد الآشوريون الآسو في الطبيب (وأحياناً في الصيدلي أو حتى الممرض)، والأشيبو أعطوا له معاني تدل على المشعوذ أو طارد الأرواح الشريرة أو الساحر، هذه الصعوبة التي واجهتهم في إعطاء تعريف محدد لهذين المصطلحين ترجع لعدة أسباب منها:

✓ "الازدواجية أو المعارضة، التي تعتبرها مجالين منفصلين ولكن متكاملين، أو اثنين من التخصصات المستقلة، أو حتى سمات علاقة تبعية لـ الآسو فيما يتعلق بالأشيبو.

✓ تقسيم المنهج القائم على التقنية، مع التركيز عادة على مناقشة الطب (التي حددها معظم العلماء في ممارسة الشفاء من خلال استخدام العلاجات النباتية والمعدنية) ضد السحر (المعتمد على التعويدة، الطقوس، العرافة)، والمنهج الرفضي (ضد العقلانية).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعود هذا الصراع بين الآسو والأشيبو عندما بدأ الآشوريون في نصوصهم العلاجية، وخاصةً خلال الألف الأولى قبل الميلاد الجمع بين العلاجات القائمة على التعاويذ والطقوس مع العلاجات التجريبية القائمة على الوصفات النباتية وغيرها داخل نفس النص اللوحي، إذ حملت هذه النصوص الطبية بشكل أساسي أسماء الأشيبو في الوصفة، وما تبقى بالنسبة إلى الآسو في عملية الشفاء، إذا كان الأشيبو بإمكانه تطبيق كل أنواع العلاجات المعروفة²⁸.

ومع ذلك، تُظهر الرسائل التي نُشرت من ماري بوضوح أن الطبيب المعالج "آسو" "asû"، والساحر المعزم "أشيبو" أو "ماشماشو" "mašmaššu" كانا يعملان جنباً إلى جنب-كما سبق وذكرنا- في نفس الحالات المرضية، فلا يوجد أي تلميح في

النصوص القديمة إلى أن أحد الأساليب كان أكثر شرعية من الآخر، ويبدو في الواقع أن هذين النوعين من المعالجات يتمتعان بشرعية متساوية، وهذا ما أوردته هذه العبارات التي وجدت عدة مرات في النصوص الطبية مثل: "إذا لم يؤد الطب ولا السحري إلى علاج..."²⁹.

1.2.4 المعالج الطيب "أسو" (asu) أو "أزو" (A.zu):

كان يشار إلى الطبيب باسم "سيد الإبهام" "بيل أوباني" (Bel Ubani) الذي لا بد وإن كان مرتبطاً بمعاني المهارة والذكاء وما إلى ذلك³⁰، عرف الطبيب بالسومرية بـ"أزو" (azu) وتعني حرفياً "العارف بالماء"³¹، وتنطلق هذه التسمية من حقيقة أن إله الماء "أنكي" ابن إله المياه العميقة "أبسو" هو الإله المسؤول عن الشفاء والموصوف بأنه "إله الطب الأكبر"، وتأتي هذه القرينة بين الطب والماء من حقيقة أن الطب يعني الحياة والماء هو مصدر الحياة³²، ومن "أزو" اشتق الاسم باللغة الأكادية بصيغة "أسو" (asû)³³، وتنطلق هذه التسمية على الطبيب الممارس أو السريري³⁴، وهم الفئة التي تمارس الطب العلاجي، حيث يقومون بعلاجات جراحية ويصفون أدوية تعتمد معظمها على خلاصات النباتات³⁵، كما يشير مصطلح "لو. كال آسو" (Lu.GalA.Su) باللغة السومرية إلى رئيس الأطباء³⁶.

لقد كتب الكثير عن مسألة التمييز بين العلاجات الطبية والسحرية وفصل وظائف الآسو عن وظائف الأشييو، ومع ذلك يبدو أن ذلك التمييز كان نظرياً أكثر منه حقيقياً، وإذا تجاهلنا هذه التكهّنات ونظرنا إلى ما ورد في النصوص فقد نجد صورة لشخص عملي كان بإمكانه العلاج والجراحة وتجبير العظام المكسورة، وعلاج جروح المعارك والأمراض الداخلية والخارجية بالأدوية العشبية وغيرها، وهذا ما أشارت إليه ترنيمه مديح للإلهة كولا "الطبيبة العظيمة" موضحة بعض أنشطة الآسو: "أنا الطبيبة، يمكنني أن أشفي، أحمل معي جميع أعشاب الشفاء، أقوم بإبعاد المرض، وأحمل معي حقيبة... ونصوص كل شفاء، أعطي علاجات للناس، ضميري النقي يخفف الجرح، ضمادتي الناعمة تخفف المرض..."³⁷، كما يشير أيضاً هذا النص الذي يقدم فيه مردوخ نفسه كطبيب يذكر



فيه: "أنا طبيب، أنا أعرف كيف أشفي، أحمل معي كل الأعشاب (...). ومعني حقيبة...أرتدي masdarou ماسدارو الذي (...). أنا مانح الصحة الجيدة ل (...)"³⁸.

ووفقاً للنصوص التشخيصية، كان من المعتاد على الآسو (على وجه الخصوص) زيارة المريض في منزله من أجل تكوين رأي حول حالته³⁹. ومن المفترض أيضاً، أن البعض منهم من مارس مهنته فيما يمكن أن يسمى اليوم المستشفى التي كانت عبارة عن غرف محفوظة لرعاية المرضى، حيث يقوم الطبيب بزيارة المرضى على الأقل مرتين يومياً، ليسجل ملاحظاته على الألواح الطينية⁴⁰، حاملاً معه محفظة (تالكالتو Takaltu) التي تحوي الضمادات (سندو Sindu) والأنايب المعدنية والمفصد التي أسموها سكين الحلاقة والمبضع وجرة إلخ⁴¹.

أما أول "طبيب ممارس" سومري ورد ذكره في النصوص اسمه "لولو"، وقد ظهرت الكلمتان "لولو، الطبيب" على لوح عثر عليه في مدينة أور يعود تاريخه إلى 2700 ق.م⁴²، كما ورد أسماء كثير من الأطباء البابليين والأشوريين، وعُثر على بعض أختامهم الأسطوانية منهم ختم الطبيب أور-لوكال-أدين-نا-Ur-Lugal-Edin--Na) الذي يعود إلى عهد ابن جوديا والموجود حالياً في متحف اللوفر بباريس، وكذا ختم الطبيب "مردوخ-ماككور" (Marduk-Makkur) الذي خلف والده الطبيب "سن أشاريد" (Sin-Asharid)⁴³.

كما ذكرت رسائل ماري الكثير من أسماء الأطباء ونعت أحد الأطباء باسم طبيب "ماردا مانيا" مما يدل على شهرته وذيوع اسمه في المنطقة، وأطلق على طبيب ثاني اسم الطبيب المختص (أويل أسام خاكام)، وذكرت رسالة مجيء طبيب باسم "ميرانوم Meranum" لمعالجة مريض اسمه ريشيا Rishiya وصف النص حالته بالخطرة، وقد كان على وشك الموت، وفي رسالة من الملك الأشوري شمشي

أداد الأول إلى ابنه اسماخ أداد حاكم ماري تتعلق بالطبيب سوخوتوم ويطلب منه إرسال الطبيب ميرانوم أيضا إليه، وهناك أسماء آخرين ذكرتهم رسائل ماري أمثال ايبيق سن (Ipiq –Sin) وشمشي أداد-توكولتي (Shamshi-Adad-Tukulti) ، ومن الرسائل الملكية للعصر الأشوري المتأخر نذكر أسماء لبعض أطباء بلاط الملكين أسر حدون وولده أشور بانيبال أمثال "أراد شوم أوصور" (Arad-Shum-Usur)، وأراد نانا (Arad Nana) واككارو (Ikkaru) ومردوخ ابال ادينا ومروخشاكين شوم (Marduk-Shakin-Shum)⁴⁴.

أما بالنسبة لوجود طبيبات، فيشير نص لارسا الذي يرجع تاريخه إلى فترة أور الثالثة والفترة البابلية إلى وجود طبيبة ملحقة بالقصر، حيث عملت بعض النساء في معالجة الأمراض النسائية، لأنهن من المفترض استفادتهن مثل الرجال من التعليم المتقدم للغاية في طب بلاد الرافدين⁴⁵.



2.2.4 المعالج التعويذي:

ينقسم هؤلاء إلى فئتين⁴⁶: الأشيبيو والبارو:

• المعالج "أسيبو" (asipu) أو "أشيبيو" (ashipu):

هو التعويذي، ويمكن أن يحمل أسماء أخرى مثل: الماشماشو mašmāšū في السومرية، وفي الأكديّة الأشيبيو⁴⁷، كما يُترجم الفعل "ماشو" mussuāu في القواميس على أنه "عمل فرك"، يحدث بشكل حصري في الممارسات الطبية والسحرية، في علاج الأطراف المصابة (وخاصةً المشلولة)، مثل اليدين والذراعين والقدمين والساقين وكذلك علاج لبطن المرأة الحامل على وشك الولادة⁴⁸.

لكن الاسم الأكثر استخدامًا كان "أشيبيو" الكاهن المعزم، طارد الأرواح الشريرة، له مواصفات معينة منها أن يكون ذو جسد مثالي، وتلقى تدريبات طويلة⁴⁹، مارست هذه الفئة الطب الديني، وبرعوا في استخدام تعاويذ طرد الشياطين والمصالحة مع الآلهة⁵⁰، وقاموا بتحديد نوعية الإساءة التي سببتها الآلهة أو الشياطين، فالأشيبيو هو الذي يتعامل مع مرض من أصل خارق له علاقة ب: الاستياء الإلهي والشعوذة، والأشباح، وخاصة الشياطين⁵¹، فإن علاج المرضى بالنسبة لـ "الأشيبيو" كان مجرد واحدة من العديد من الوظائف التي يقوم بها⁵²، إذ يقوم بطقوس غسل الفم أثناء تقديم الثور قربانا إلى الإله⁵³، كما كانت له وظائف مقدسة، لا علاقة لبعضها بالمرض مثل تطهير المعابد قبل استخدامها في الاحتفالات الدينية⁵⁴، وكان الأشيبيو يحمل معه الجرة والمبخرة، ويلبس عباءة حمراء لجعل الشياطين يفرون⁵⁵، إذ تشير أحد النصوص أن ذلك الرداء الأحمر الذي كان يرتديه-أي الأشيبيو- أثناء تأديته لطقوس شفاء المرضى يدعى "نخلابتو"

(Nahlptu) ، حيث يذكر في هذا النص: " الثوب الأحمر المسمى نخلابتو المخيف لبسته ضدك ووضعتة على جسدي المقدس، ثوبا أحمر اللون ملينا بالرعب"⁵⁶ كان هؤلاء كهنة، مثلهم مثل آبائهم، ينتمون إلى مؤسسة مستقلة مغلقة، وكانوا أكثر براعة في مجال العرافة يشهد على وجودهم الرسمي نقوش تعود إلى زمن الملك أوركا جينا⁵⁷ ، وقد سمحت دراسات بعض الألواح المسماوية الموجودة في منزل أحد المعالجين الكهنة من الماشماشو بتتبع علم الأنساب لأصحاب هذا المنزل، شاهدة على توارث هذه المهنة في "عائلة" من الماشماشو على مدى أربعة أجيال، يمارسون مهنتهم من الأب إلى الابن، وكان الشخص الأكثر ذكرا في هذه الألواح هو كسر-أشور (Kišir-Aššur) معين. والده، (Nabû-Bēssunu) نابو-بسونو، وكذلك جده (Baba-šuma-ibni) بابا-سوما-إبني، عمه أبو-إربا (Abu-erība)، أخوه سامس-إبني (Šamaš-ibni) وابن أخيه كسر-نابو (Kišir-Nabû)، نفس الوظيفة التي قاموا بها، وهم الماشماشو في معبد آشور، وهي وظيفة مهمة وشريفة، في خدمة الملك الأشوري⁵⁸ .

لقد تولى الأشيبيو دور المثقف، وفقا لفعالية العلاجات⁵⁹ ، إذ يذكر (Maul) أنهم يتحملون مسؤولية رفاهية الناس، جسدياً ونفسياً⁶⁰ ، واعتمدوا في ذلك على الرقى والتعاويد التي كانت أيضاً من الأساليب التي استخدمها الأشيبيو إلى جانب اللبائخ والأربطة، وهي بمثابة علاج نفسي كان الهدف منها هو رفع حالة المريض النفسية والتعجيل في شفائه، كما تشير إلى ذلك التعويذة الآتية: "...واربط الرجل بالرباطات وكرر تعويذة اريدو "وادعو الآلهة العظيمة أن تزيل الروح الشريرة أو الشيطان الشرير أو الشبح الشرير .. أو الحمى أو المرض العضال من جسد هذا الرجل" ، وهناك من الرقى والتعاويد ما تسمي الآلهة المختصة بالشفاء وتدعو المريض للاستنجاد بها وتخليصه من مرضه، ومنها التعويذة الآتية: "إذا لم يكن أيا، فمن الذي سيخلصك؟ فليخلصك أيا وليشا في كأس الوحي، كرر هذه التعويذة 7 مرات على المرهم ومهما كان مصدر الألم ليدهن موضع الألم ثم إنه



سيشفى"⁶¹، وفي بعض الحالات المرضية كان يستدعي متخصص آخر للتأكد من مرض المصاب، وهو "البارو"⁶².

• المعالج "بارو":

البارو (bârû) هو العراف، وردت هذه المفردة التي تعني يفتش أو يلاحظ منذ العصر الأكدي، وهناك من ترجمها على أنها تعني "البارع" أو كلمة تدل على الشخص الذي يبرئ الأمراض⁶³، وأحسن شبيه له هو الفوأل، يتولى هذا الصنف من الكهنة الكشف عن الطالع باستخارة الفأل بأنواعه المختلفة، ويقوم بتفسير الأحلام⁶⁴، وقد كان عملهم مشابهًا جدًا لأشيبو. منحوا هذا اللقب لأنهم كانوا على دراية بالكهنوت والطوابع وبناءً على ذلك، فإنهم يقدمون الوصفات والتنبؤات حول صحة الشخص⁶⁵.

يمارس معظمهم مهنتهم في البلاط الملكي ويحتلون مرتبة عالية، يتوقع الملك منهم معلومات من شأنها أن تساعد في اتخاذ قرارات مهمة ومصيرية تخص الدولة والعائلة، وفي هذه الحالة يتم اجتماع الملك بجميع العرافين الملحقين بالقصر قبل قبول رأي مهم منهم، كما يُمنع عليهم منعًا تامًا إفشاء أي سر من الأسرار⁶⁶، وكان البارو يشترط عليه سلامة جسده من كل تشوه خلقي، لأن روح الإله كانت تحل بجسده بحسب معتقدات بلاد الرافدين، لذلك يجب عليه التمتع بنوع من الكمال الجسدي ليستطيع تأدية مهنته بنجاح⁶⁷.

5. دارالشفاء (المستشفى)

لأنعرف هل كانت هناك دور للشفاء أو كما يصطلح عليها مستشفيات أم لا، ولكن هناك إشارات غير مباشرة في النصوص ترجح وجود مستشفيات أو على الأقل أماكن يذهب إليها المرضى للعلاج في مدارس المعبد الطبية⁶⁸، ومن خلال

بعض الرسائل التي ترجع إلى العهد الكاشي يستشف وجود مراكز لعلاج مغنين ومغنيات أحد المعابد في نضر أو نيبور.⁶⁹

كما هناك أقدم إشارة لوجود شهادة طبية، منحها الطبيب "اككارو Ikkaru" من أجل إعفاء "إراتي" Iratti العامل في القصر الملكي من العمل لأسباب صحية، وهذه الرسالة التي وجهها هذا الطبيب إلى الملك: "إلى الملك ، سيدي ، عبدك Ikkaru تحياتي الحارة، إلى الملك سيدي! لتمنح الإلهة نينورتا وكولا السعادة والصحة لسيدي الملك، بالنسبة إلى "إراتي" Iratti ، الذي كتب لي الملك عنه، أعالجه وأعتني به جيداً. لم يتمكن من المجيء (إلى القصر) حتى الآن، الملك سيدي يجب أن يعلم أن هذا الرجل مريض، لم تعط أدوية الشفاء الجرثومي (إراتي) أي تأثير بعد.. يجب أن تطبق مرتين أو ثلاث مرات قبل أن تلتئم"⁷⁰.

6. المعالج ووضعه القانوني:

من الممكن أن يتم تنظيم الأطباء في مجموعة مهنية، وهذا ما يشهد عليه لقب "كبير الأطباء"، لكن لا يوجد دليل على أنهم كانوا تحت إشراف أي سلطة عامة معينة، ويمكن أن تكون مدرسة الطب في أيسن قد خضعت لنظام دراسي ما، تجرى فيها اختبارات للفحص قبل أن يحق للمرء أن يطلق على نفسه اسم "طبيب أيسن"، وإذا أخذنا هذا بعين الاعتبار، فهذا يعني أن هناك مجموعة من أطباء امتهنوا مهنة التدريس، وكانوا أطباءً خبراء صارمين، ويبدو أن الأطباء لم يخضعوا لعقوبات قانونية أثناء أداء عملهم العادي، وانحصرت عقوباتهم في مسؤولية الطبيب في حالة توفي المريض، نتيجة لعملية جراحية أو فقدانه لعينه بسبب تدخل جراحي⁷¹، كما خضعت مداخلهم إلى المستوى الاجتماعي للمرضى حسب طبقاتهم (الأوليوم awelum أي النخبة، mushkenum المشكينوم العامة، وكان الوردوم wardum العبيد)⁷²، وهذا ما توضحه المواد القانونية من 215-223 في شريعة حمورابي، التي تذكر أجر الطبيب المعالج لمختلف الأمراض، فنجد في :



المادة 215: " إذا طيبب أجرى عملية رئيسية وفتح محجر عين السيد بحربة برونزية وأنقذ عين السيد فعليه أن يستلم عشر شقالات من الفضة." وفي المادة 2016: "إذا كان من العامة فعليه أن يستلم خمسة شقالات." وفي المادة 217: "إذا كان رقيق سيد فعلى مالك الرقيق أن يدفع شقلين للطيبب"⁷³.

ونلاحظ من خلال هذه المواد اختلاف أجر الطيبب حسب مكانة المريض الاجتماعية، فكلما كان ذا مكانة مرموقة وغني دفع أكثر للطيبب المعالج، وحسب ما ورد في هذه المواد، نجد أن أجر عملية العين يتراوح ما بين 10 شقالات وشقلين. كما ذكرت المواد من 218 إلى 220 من قانون حمورابي العقوبة الجزائية للطيبب في حالة خطئه:

ففي المادة 218: إذا كان طيبب أجرى عملية خطيرة لسيد بحربة برونزية وسبب وفاته أو فتح محجر عين سيد وخرب عين السيد فعليهم أن يقطعوا يده".

وفي المادة 219: " إذا طيبب أجرى عملية رئيسية لرقيق أحد العامة بحربة برونزية وسبب له الوفاة فعليه أن يعوض رقيقا برقيق" وفي المادة 220: إذا فتح محجر عينه بحربة برونزية وقضى على عينه فعليه أن يدفع نصف ثمنه بالفضة."⁷⁴

نلاحظ من هذه المواد أن العقوبة لم تكن عادلة في حق كل المواطنين، فقطع يد الطيبب إذا تسبب بخطأ محصورة على الطبقة الراقية، أما بالنسبة للطبقة العامة أو الرقيق فيكتفي بالتعويض المادي، وعليه يمكن القول أن المجتمع الرافديني كان مجتمعا طبقيًا.

7. مكانة المعالج الرافديني :

يحظى المعالج باحترام كبير في المجتمع الرافديني، فهو ينتمي إلى الطبقة المتعلمة⁷⁵ النخبة، يعرف القراءة والكتابة ومختص سواء في علم الطب، العرافة، طرد الأرواح الشريرة، إنه أكثر من مجرد كاتب، إنه عالم، وعليه يمكن الاستنتاج أن فئة قليلة من السكان لديها إمكانية الوصول إلى هذه المعرفة⁷⁶، حيث حصل الأشيويو على مكانة عالية منذ العصر البرونزي المتأخر وما بعده⁷⁷.

كما قام العديد من ملوك الدول المجاورة بإرسال رسائل ملكية بشكل خاص لطلب هؤلاء للاستفادة من خبرتهم، منها رسائل ماري إلى آشور في حدود القرن 14 ق.م، ومن خلال هذه الرسائل يمكن معرفة طبيعة ومكانة وتنظيم الأطباء استناداً لمراتهم العلمية كرئيس الأطباء "راب أسي" "rab àsi"، كما أمدتنا النصوص المسمارية الحيثية حوالي سنة 1300 ق.م، بمعلومات عن وجود أطباء ومعزمين رافديين في البلاط الحيثي⁷⁸، منهم طبيب بابلي اسمه "رابا-شا-مردوخ" (Raba-Shn-Marduk)، وحوالي سنة 1280 ق.م أرسل ملك بابل طبيب وساحر إلى الملك الحيثي حاتوسيلي، ونقرأ في رسائل العمارنة عن إرسال ملك ميتاني طبيب إلى معاصره الملك المصري لمعالجته⁷⁹.



8. خاتمة:

من خلال دراسة مجال الطب في حضارة بلاد الرافدين استخلصنا العديد من النقاط:

- عرف الطب الرافديني تطورا كبيرا دل عليه الكم الهائل من نصوصهم.
- مثل المعتقد الديني دورا مهما في حياة الإنسان الرافديني في جميع المجالات، واعتبر المرض هو العقاب الذي تسلطه "يد الإله" على الخطيئة التي ارتكها الإنسان.
- سعى المعالج الآسو والأشيبو إلى العمل سوية من أجل القضاء على المرض وضمان شفاء المريض.
- تعد مدينة أيسن المدينة الأهم التي درست ودربت العديد من الأطباء الذي اكتسبوا شهرة وصيتا ليس في بلاد الرافدين بل حتى في باقي الحضارات المجاورة.
- كان للمعالج مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع كما كانت هذه المهنة سرية ووراثية وحكرا على طبقة اجتماعية مهمة قام قانون حمورابي بتنظيمها وتقنينها.

10. ملاحق:



مشهد طرد الأرواح الشريرة: المريض في الوسط ، وكعنة متكرر في صورة مسكة ،

يرمزون إلى إله أيا ، إله شام ، فطر: Robert D. Biggs, Op-cit, p139



الإلهة كولا



العمود الذي يدل على معازمة اللعنة ، هي

Colton D. First Impressions, Cylinder Seals in the Ancient Near East
London: The British Museum, 1987, p40



. الهوامش:

¹-AditiTrivedi, Mesopotamian Civilization: Medicine, "The History of Medicine," The British Medical Journal 2.2695 (1912), p2.

²-Robert D. Biggs, Medicine, Surgery, and Public Health in Ancient Mesopotamia, Journal of Assyrian Academic Studies, Vol. 19, no. 1, 2005, p1

³- جان شارل سورنيا، تاريخ الطب، ترجمة إبراهيم الجلاتي، مطابع السياسة، الكويت، 2002، ص 26.

⁴-AditiTrivedi, Op-Cit, p2.

⁵-Durand Jean-Marie, Les premiers médecins en Mésopotamie : l'exemple de Mari. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 150^e année, N. 4, 2006. p1830.

⁶- جان شارل سورنيا، المرجع السابق، ص 24.

⁷- المرجع نفسه، ص 28.

⁸- من آلهة الطب نجد عند البابليين الإله "أيا"، سيد المياه والذي عرف بأبا الأطباء (أياشا آسي)، وكان وسيطه بين الناس الإله مردوخ، كما اهتم الأطباء القدامى بعبادة الإله ننورتا بصورة خاصة وهو ابن الإله إنليل وقد سمي بالطبيب القوي (A.ZuGallu)، وزوجته كولا (Gula) واعتبروهما أرباب الشفاء وغيرها من الآلهة. للمزيد أنظر: سامي سعيد الأحمد، الطب العراقي القديم، مجلة سومر، المجلد 30، ج 1 و 2، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1974، ص 90.

⁹-Audrey Heckel, Emergence de la Médecine en Mésopotamie, Thèse pour obtenir le grade de docteur en médecine, faculté de médecine de Nancy; 2003, p 36-37.

أسامة عدنان يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، أشور بانيبال للكتاب، بغداد، 2016، ص 137.

¹⁰-AditiTrivedi , Op-Cit, p3.

¹¹-Barbara Bock, When you perform the ritual of 'Rubbing' : on medicine and magic in ancient Mesopotamia* Journal of Near Eastern Studies,2003 by The University of Chicago, p16.

-Audrey Heckel,Op-Cit,p 37.

¹²-أسامة عدنان يحيى، المرجع السابق، ص138.

¹³-Hérodote, Histoire, Livre I, Trad: Larcher, Charpentier, Paris, 1850, 197.

¹⁴-Emily K. Teall, Medicine and Doctoring in Ancient Mesopotamia, Grand Valley Journal of History, Vol. 3, ; Published by ScholarWorks@GVSU, 2014, p2.

¹⁵- حسين عليوي عبد الحسين السعدي، البارو والأشيبو والأسوف في بلاد الرافدين (دراسة مقارنة)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد1، العراق، 20019، ص179.

¹⁶-AditiTrivedi, Op-Cit, p3.

¹⁷- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص87.

¹⁸-Emily K. Teall, Op-Cit, p3.

¹⁹-سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص86.

²⁰-رينيهلابات، الطب البابلي والأشوري، مجلة سومر، مجلد24، ج1و2، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1968، ص194.

²¹-سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص87.

²²- AditiTrivedi, Op-Cit, p3.

²³-Emily K. Teall, Op-Cit, p3.

²⁴- حسين عليوي عبد الحسين السعدي، المرجع السابق، ص182.

²⁵-Robert D. Biggs, Op-Cit, p14 .

²⁶-فاروق ناصر الراوي، العلوم والمعارف، حضارة العراق القديم، الجزء2، بغداد، 1985، ص336.

²⁷-Audrey Heckel,Op-cit, p110.

²⁸- Erica Couto-Ferreira, The Circulation of Medical Practitioners in the Ancient Near East, pp403-407.

²⁹-Robert D. Biggs, Op-cit, p1

³⁰- سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص84.

³¹- خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين. الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص140.

³²-المرجع نفسه، ص142.



³³ - قصي منصور عبد الكريم، شذرات من كنوز التراث العراقي القديم في جوانب من العلوم والمعارف الإنسانية، عصور الجديدة، العدد 14-15، الجزائر، 2014، ص 17-18.

³⁴ - خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 142.

³⁵ -Emily K. Teall, Op-cit, p2.

³⁶ - قصي منصور عبد الكريم، المرجع السابق، ص 18..

³⁷ -Robert D. Biggs, Op-Cit, p10

³⁸ -Audrey Heckel, Op-Cit, p97 .

³⁹ - Francois Pieter Retief and Louise Cilliers, Mesopotamian Medicine, South African medical journal, 2007, p7.

⁴⁰ - Audrey Heckel, Op-Cit, p99.

⁴¹ - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق ، ص 87.

⁴² -خزعل الماجدي، المرجع السابق ، ص 149.

⁴³ - سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق ، ص 84.

⁴⁴ -المرجع نفسه، ص 85

⁴⁵ -Audrey Heckel, Op-Cit, p98.

⁴⁶ -Emily K. Teall, Op-Cit, p2.

⁴⁷ -هناك اختلاف بين الباحثين حول مدى تطابق مكانة ومصطلح الأشيبيو الأكدى، ومصطلح الماشماشو السومري، وعند تعريف هذا الأخير نجد أن الماشماشو تعني الكاهن المعزم الذي يقرأ التعازيم وينطق بالطقوس، أي يقوم بنفس عمل الأشيبيو كونهما المختصين بقراءة التعاويذ لشفاء الناس، وهناك من الباحثين من يطابق بين المصطلحين، ومنهم من يصرح باختلاف المراتب. أنظر: حسين عليوي عبد الحسين السعدي، المرجع السابق، ص 185. وأحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص 229.

⁴⁸ -Barbara Bock, Op-Cit, p11.

⁴⁹ -Audrey Heckel, Op-Cit, p101.

⁵⁰ -Francois Pieter Retief and Louise Cilliers, Op-Cit, p5.

⁵¹ -Robert D. Biggs, Op-Cit, p13

⁵² -Ibid, p1

⁵³-خزعل الماجدي، بخور الآلهة، ص142.

⁵⁴-Robert D. Biggs, Op-Cit, p13

⁵⁵-Audrey Heckel, Op-Cit, p97.

⁵⁶-حسين عليوي عبد الحسين السعدي، المرجع السابق، ص185.

⁵⁷-Audrey Heckel, Op-Cit, p102-101.

⁵⁸-Magalie Parys, Édition d'un texte médical thérapeutique retrouvé à Assur (BAM 159), [Le journal des médecines cunéiformes](#) 23, 2014, p8.

⁵⁹ - Erica Couto-Ferreira, Op-Cit, , pp403-406.

⁶⁰ - Magalie Parys, Op-Cit,, p9.

⁶¹ - عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، اللبائخ وطريقة استخدامها في الطب الأشوري، دراسات موصلية، العدد 41، 2013، ص32.

⁶²-Robert D. Biggs, Op-Cit, p13

⁶³ - حسين عليوي عبد الحسين السعدي، المرجع السابق، ص 182-183.

⁶⁴-خزعل الماجدي، المرجع السابق ، ص143.

⁶⁵-Aditi Trivedi, Op-Cit, p3.

⁶⁶-Audrey Heckel, Op-Cit, pp102-103.

⁶⁷ - حسين عليوي عبد الحسين السعدي، المرجع السابق، ص 183.

⁶⁸-سامي سعيد الأسعد، المرجع السابق، ص85.

⁶⁹-فاروق ناصر الراوي، المرجع السابق ، ص337.

⁷⁰-Audrey Heckel, Op-Cit, pp109-110.

⁷¹ - Robert D. Biggs, Op-Cit, p12

⁷²-Emily K. Teall, Op-Cit, p3.

⁷³ - شريعة حمورابي، ترجمة محمود أمين، دارالوراق، لندن، 2007، ص60

⁷⁴ - المرجع نفسه، ص60

⁷⁵-Francois Pieter Retief and Louise Cilliers, Op-Cit, p5.

⁷⁶-Audrey Heckel, Op-Cit, p96.

⁷⁷ - Erica Couto-Ferreira, Op-Cit, pp403-406.

⁷⁸-فاروق ناصر الراوي، المرجع السابق ، ص336.

⁷⁹-سامي سعيد الأحمد، المرجع السابق، ص84.



- قائمة المراجع:

- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2012.
- أسامة عدنان يحيى، السحر والطب في الحضارات القديمة، أشور بانينبال للكتاب، بغداد، 2016.
- جان شارل سورنيا، تاريخ الطب، ترجمة إبراهيم البجلاتي، مطابع السياسة، الكويت، 2002.
- حسين عليوي عبد الحسين السعدي، البارو والأشيبو والأسو في بلاد الرافدين (دراسة مقارنة)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد 1، العراق، 2019.
- خزعل الماجدي، بخور الآلهة دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998.
- رينيه لابات، الطب البابلي والآشوري، مجلة سومر، مجلد 24، ج 1 و 2، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1968.
- سامي سعيد الأحمد، الطب العراقي القديم، مجلة سومر، المجلد 30، ج 1 و 2، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1974.
- شريعة حمورابي، ترجمة محمود أمين، دار الوراق، لندن، 2007.
- عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، اللبائخ وطريقة استخداماتها في الطب الآشوري، دراسات موصلية، العدد 41، 2013.
- فاروق ناصر الراوي، العلوم والمعارف، حضارة العراق القديم، الجزء 2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985.
- قصي منصور عبد الكريم، شذرات من كنوز التراث العراقي القديم في جوانب من العلوم والمعارف الإنسانية، عصور الجديدة، العدد 14-15، الجزائر، 2014.

- Aditi Trivedi, Mesopotamian Civilization: Medicine, "The History of Medicine," The British Medical Journal 2.2695 (1912).
- Audrey Heckel, Emergence de la Médecine en Mésopotamie, Thèse pour obtenir le grade de docteur en médecine, faculté de médecine de Nancy, 2003.
- Barbara Bock, When you perform the ritual of 'Rubbing' : on medicine and magic in ancient Mesopotamia, Journal of Near Eastern Studies, by The University of Chicago, 2003.
- Durand Jean-Marie, Les premiers médecins en Mésopotamie : l'exemple de Mari. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 150^e année, N. 4, 2006.
- Erica Couto-Ferreira, The Circulation of Medical Practitioners in the Ancient Near East, Mediterraneos, Cambridge scholars, British, 2013 .
- Emily K. Teall, Medicine and Doctoring in Ancient Mesopotamia, Grand Valley Journal of History, Vol. 3, Published by ScholarWorks@GVSU, 2014.
- Francois Pieter Retief and Louise Cilliers, Mesopotamian Medicine, South African medical journal, 2007.
- Hérodote, Histoire, Livre I, Trad. Larcher, Charpentier, Paris, 1850.
- Magalie Parys, Édition d'un texte médical thérapeutique retrouvé à Assur (BAM 159), Le journal des médecines cunéiformes 23, 2014.
- Robert D. Biggs, Medicine, Surgery, and Public Health in Ancient Mesopotamia, Journal of Assyrian Academic Studies, Vol. 19, no. 1, 2005.